ذكرى قاسم أمـــين

للأستاذ علي الجارم بك

مل ّ من وجدِه ومن فرطِ ما به   وأراق الشرابَ من أكوابه
وإذا القلب أظمـــأته الأمانـــيّ ، فماذا يريده من شرابه ؟
وإذا النفس لم تكن منبت الأنـــس تناءى القريبُ من أسبابه
وأشـدُّ الآلام أن تلزمَ الثغـ   ـرَ ابتساما والقلب رهنُ اكتئابه

* * *

كلما اختال فى الزمان شبابٌ   عصفت ريحُه بلَدْن شبابه !
والنبوغ النبوغُ يمضى وتمضى   كلُّ آمال قومِـه فى ركابه
غَـرِدٌ ، ما يكاد يصدح حتى   يُسكتَ الدهرُ صوته بنُعابه
وحَبابٌ ، إذا علا الماء ولى   فاسأل الماء : هل درى بحبابه ؟
وسفين ، ما شارف الشطَّ حتى   مزَّق اليمُّ دُسْرَه بعبابه
بخـل الدهرُ أن يطوِّل للعقـــل فيجري إلى مدى آرابه

* * *

كلمـا سار خطوةً وقف المو   ت فسـدَّ الطريقَ عن طلابه
وابتـداء الـكمال فى عمل العا   مل بَدْءُ الشكاة من أوصابه
ضلةً نـكتم المَشيب فيبدو   ضاحكاً ساخراً خلالَ خضابه
أين من يستطيع أن يرشد الدنيـــا ، وسوطُ المنون فى أعقابه ؟
أيها الموت أمهل الكاتبَ المســكين يُرسلْ أنفاسه فى كتابه

* * *

آه لو يشترى الزمان قريضى   بسنين تمدُّ لى فى حسابه !
ما حياتى ، والكونُ بعدُ جهاد   لم أزل واقفاً على أبوابه ؟
تظمأ النفسُ فى حياة هى القفـــر فترضى بنهلة من سرابه
أنا قلبي من الشباب ، وجسمي   أثخن الشيب رأسـه بحرابه
أملٌ هـذه الحيـاة ! فهل يســـر بي الموت دون وشك طلابه ؟
كلمـا رمتُ لمحة من سنـاه   هالني بعدُه وطول شعابه
ما الذى تبتغى يدُ الدهر منّى   ودمى لا يزال مِلْءَ لعابه ؟
دع يراعى يا دهر يملأ سمع النـــيل من شدوه وعزفِ ربابه
كلُّ شيء له نصاب سوى الفن   فلا حـــدَّ ينتهى انصبابه

* * *

عصفت صيحة الردى بخطيب   وهو لم يمدُ صفحة من خطابه
سكتةٌ أسكتت نشيج خضمٍ   عقـد النوء لجه بسحابه
سكتة أطفأت منار طريق   كم مشت مصر فى ضياء شهابه
ومضى « قاسم » وخلف مجداً   تفرع النجم راسيات قبابه

* * *

قد نكرناه حين قام ينادى   وفهمنا معناه يوم احتسـابه
ربَّ من كنتَ فى الحياة له حر   باً شققت الجيوب عند غيابه
وتحدّيتَ شمسه ، فاذا ولّى   تمنيت لمحـة من ضبابه
لم يفز منك مرة بثنـاء   فنثرت الأزهار فوق ترابه
يُعرف الوردُ حينما ينقضى الصيـ   ـفُ ويُبكى النبوغ بعد ذهابه
كم ندبنا الشباب حين تولى   وشغفنا بالبدر بعـد احتجابه
كتب الله أن يعيش غريباً   كل ذى دعوة إلى الحق نابه
لا ترى فوق قمة الطود إلا   بطلا لا يهاب هولَ صعابه
كلُّ ذات الجناح طير ، ولكن   عرف الجو نسره من غرابه
كم رأينا فى الناس من يبهر العيــن وما فيه غير حسن ثيابه
يملأ الأرض والسماء رياء   وعيوبُ الزمان ملء عيابه

* * *

نقد الناس « قاسماً » فرأوه   أصبر الناس فى تجرع صابه
حجة الجاهل المراء ، فان شا   ء سموا أسـدها بسبابه
قد يغشى الوجدان باصرة العقـــل فيعميه عن طريق صوابه
صال بالرأى « قاسم » لا يبالى   ومضى فى طريقه غيرَ آبه
كم جرىءٍ لا يرهب السيف إن سل   ونكس يخاف مسَّ قرابه
والشجاع الذى يجاهر بالحق   ولو كان فيه مرُّ عذابه
كيف يهدى النصيح إن ريع يوماً
من قِلى من يحب أو إغضابه
وطريق الاصلاح فى كل شعب   عسِر المرتقى على مجتـابه
يعشق الشعب من يدلله زو   راً ويحذَق من سخفه وكذابه

* * *

قمتَ للجهل تقلمُ الظفر منه   وتفضُّ الحِداد من أنيـابه
فى زمان كان القديم به قد   ساً يذاد الجديد عن محرابه
يا نصير النساء والدين سمح   لو وعينا السرىّ من آدابه
قد خشينا على الحمائم فى الدو   ح أظافيرَ بازه أو عقـابه
إن أردت الظباء تمرح فى السهل   فطهِّر أكنافه من ذئابه